



إبستمولوجيا الفهم في مشروع أبي اليزيد الشرقاوي :

دراسة ميتا نقدية في كتاب "آليات الفهم والدلالة في المدونة النقدية الحديثة "

Epistemology of Understanding in Abu al-Yazid al-Sharqawi's Project: A Meta-Critical Study of the Book "Mechanisms of Understanding and Meaning "in Modern Critical Discourse

أ.د. عبد الحميد هيمة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة)
(الجزائر)

hima.ab@univ-ouargla.dz

محمد جعيجع *

مخبر النقد ومصطلحاته

جامعة قاصدي مرباح ورقلة)
(الجزائر)

mohameddjaidja@gmail
.com

الملخص:

معلومات المقال

تتموضع هذه الدراسة في أفق «نقد النقد الأدبي بوصفه "معرفة بالمعرفة" ونشاطا إبستمولوجيا يُسائل شروط إنتاج الخطاب النقدي، ومدى كفايته الإجرائية وهي تمضي نحو تشريح المراكز المعرفية والفرضيات الفكرية التي شيد عليها "أبو اليزيد الشرقاوي" مشروعه في استنطاق «جدلية الفهم والدلالة» باعتبارها البؤرة المركزية لتوليد المعنى في الخطاب. ويروم البحث اختبار الفعالية المنهجية لهذا المنجز عبر اتخاذ قصيدة «الغبار» لعبد المنعم رمضان (مختبراً تنظيرياً) يتجاوز رتبة التطبيق السطحي؛ وذلك بغية رصد المنعطقات الباراديمية، وفحص مساحات التوتر القائم بين النص والموضوع و«اللغة الواصفة». وتخلص الدراسة إلى أن النص الأدبي المعاصر، والشعر منه بصفة أخص، يمتلك لونا لا متناهيًا من العلامات والإشارات التي تنفتح دوماً على التعدد التأويلي الخلاق؛ مما يستدعي تحولا للممارسة النقدية من رتبة الوصف السكوني إلى أفق «الإبداع الثاني» الذي ينبذ أطروحة «القراءة الوحيدة» أو الانغلاق المعرفي السكوني.

تاريخ الارسل:

2026/03/01

تاريخ القبول:

2026/06/02

تاريخ النشر:

2026/06/14

الكلمات المفتاحية:

- ✓ نقد النقد
- ✓ اللغة الواصفة؛
- ✓ إبستمولوجيا الفهم
- ✓ الكفاية الإجرائية
- ✓ المنعطف الباراديمي

Abstract :

Article info

This study is positioned within the horizon of 'Métacriticism'; as a 'knowledge of knowledge' and an epistemological activity that interrogates the conditions of producing critical discourse and its procedural efficiency. It proceeds to dissect the cognitive foundations and intellectual premises upon which 'Abu Al-Yazid Al-Sharqawi' established his project in interrogating the 'dialectic of understanding and significance,' considering it the central locus for generating meaning within discourse.

Received

01/03/2026

Accepted

02/06/2026

Published

14/06/2026

The research aims to test the methodological efficacy of this work by taking Abd al-Mun'im Ramadan's poem 'Dust' as a 'theoretical laboratory' that transcends the level of superficial application; this is intended to observe paradigmatic shifts and examine the spaces of tension existing between the 'object text' and the 'metalanguage'.

The study concludes that the contemporary literary text, and poetry in particular, represents an infinite universe of signs and signals that are perpetually open to creative interpretive multiplicity. This necessitates shifting critical practice from the level of static description to the horizon of 'second creation', which rejects the thesis of the 'single reading' or static cognitive closure."

Keywords:

- ✓ Métacriticism
- ✓ Métalangages
- ✓ Epistemology of Understanding
- ✓ Procedural Efficiency
- ✓ Paradigmatic Shift

1. مقدمة :

شهد المشهد النقدي في العقود الأخيرة من القرن العشرين منعطفاً إبستمولوجياً حاداً، هدف في جوهره إلى تحرير النص الأدبي من أسر "النزعة الاستعمالية" السكونية، وإعادة الاعتبار لخصوصيته الحضورية عبر تفعيل سلطة المتلقي في "إعادة إنتاج النص". وتجيء هذه الحضورية بوصفها استجابة نقدية واعية وتجاوزاً للمناهج الراديكالية التي انغلقت في "ميتافيزيقيا الكتابة" وتعالّت على النصوص الإبداعية؛ مما أحدث انزياحاً جوهرياً نحو مرجعيات توطر النص بوصفه نسقاً من العلامات الإنتاجية دائمة التحول، وتؤسس لممارسة نقدية تبتكر أدواتها الإجرائية الكفيلة باستنطاق "جوهر الأدب". (مصطفى جلال مصطفى ، 2016. ص:14)

وفي هذا السياق المعرفي، يطرح الباحث أبو اليزيد الشرقاوي في كتابه "آليات الفهم والدلالة في المدونة النقدية الحديثة" مشروعاً يمثل عتبة تأسيسية تسائل كينونة الخطاب النقدي؛ لا بوصفه جهازاً مفاهيمياً جامداً، بل باعتباره لغة واصفة دينامية، تتشكل آلياتها وفق تحولات "السؤال النقدي". ويتقاطع هذا الاشتغال مع الطروحات النقدية التي ترى في الفهم "ترجمة منتجة للمعرفة". (بومدين بوزيد ، 2008. ص:14)، مما يحول فعل القراءة من مجرد استعادة سلبية لمواقف سابقة إلى لحظة تأسيسية لإنتاج الوعي بالذات وبالعالم داخل نسج النص.

وضمن هذا الثقافة المنهجية، تبرز "إبستمولوجيا العلامة" كآلية لاستكشاف كيفية توليد المعنى؛ إذ يتشكل النص بوصفه شبكة دلالية معقدة تستوجب حضور "القارئ الحاذق" القادر على تحريك "الدائرة الهرميوطيقية"، التي تجعل فهم الجزء مرتعناً بالكل، وتؤسس للفهم بوصفه إدراكاً أنطولوجياً ينكشف عبر التفاعل الجدلي بين الذات والنص. (بومدين بوزيد ، 2008. ص:15) وبناءً على هذه المرجعيات، يلور الشرقاوي إشكالية معرفية تهدف إلى ابتكار نسق قرائي يحقق "قطيعة إبستمولوجية" مع المناهج الانطباعية والتقليدية السائدة. فالكتاب لا يكتفي بمساءلة عوارض الاستهلاك المفهومي، بل يشيد استراتيجية تعيد للقراءة وظيفتها في بناء "النص الثاني" عبر ثنائية إجرائية قطبها: (الفهم ↔ الدلالة) وتمثل هذه الثنائية الهندسة البنائية للمشروع؛ حيث يشكل الفهم مدخلاً لاستكشاف البنية

العميقة عبر الانتقال من "الملزومات" (الظواهر اللفظية) إلى "اللوازم الدلالية (الإمكانات المضمرة)، بينما تمثل الدلالة لحظة التأويل القصوى المحققة لفضاء "النصوصية".

وقد جاءت مقارنة قصيدة "الغبار" لعبد المنعم رمضان بمثابة مختبر تطبيقي كشف عن "الكفاية الإجرائية" لهذه الأدوات، مؤكدة أن النقد عند الشرقاوي ليس وصفاً خارجياً أو وعظاً تعليمياً، بل هو اشتغال معرفي وإبداع مواز يهدف إلى تفكيك البنى واستنطاقها ضمن صيرورة "نقد النقد" أو "قراءة القراءة".

تأسيساً على ما سلف، تشكل مادة هذه المسألة الميتانقدية حول الإشكالات الإستيمولوجية المركزية التالية:

ما الإطار البنائي الذي ينتظم وفق بؤرته هذا الخطاب النقدي؟ ما هي «المقولات المحورية» والمضامين المعرفية التي تشكل نسق هذا المنجز وتحدد تحوّمه الاصطلاحي؟ ما هي «المنطلقات المنهجية» و«الخلفيات الفلسفية» التي تؤطر هذا الاشتغال، وتضمن «تماسكه النظري» في فضاء اللغة الواصفة؟ هل ارتهن الناقد في تأسيس «المنهج القرائي» بمتن نصي مخصوص (قصيدة الغبار)، أم اتخذ «مختبراً نظرياً» للعبور نحو فضاء النصوصية المفتوح؟ ما هي المكونات الجوهرية لـ«الممارسة النقدية» وآليات الاشتغال المعرفي لدى الناقد في لحظة تشكل الخطاب؟ وإلى أي مدى حقق الشرقاوي كفايته الإجرائية في إحداث قطيعة إستيمولوجية مع القراءات التقليدية السكوني؟

2. الهندسة المفاهيمية والمعمار الإستيمولوجي للكتاب

تقتضي الضرورة الميتانقدية، قبل الخوض في تشريح الأطروحات الجزئية لكتاب "آليات الفهم والدلالة في المدونة النقدية الحديثة"، الوقوف عند «الهندسة المفاهيمية» التي تنتظم وفقها بنيتها الداخلية؛ وهي هندسة تنهض بوظيفة «المفتاح الإجرائي» للعمل المعرفي ككل. (عبد الرحمن تمار، 2017، ص: 23)، إن هذا المعمار لا يقوم على تصنيف تقرير سكوبي، بل يتأسس بوصفه «بنية تشييدية» تعيد موضوعة ثنائية (الفهم والدلالة) ضمن نسق يروم تحقيق «قطيعة إستيمولوجية» مع التصورات التقليدية التي اختزلت النص الشعري في أبعاد أحادية، أو عدّته مجالاً عصبياً على الإدراك المنهجي.

يتموضع الكتاب كفعل «مقاومة معرفية» يسعى لانتزاع الشرعية العلمية لـ«الفهم» بوصفه طاقة تأويلية قادرة على استنطاق مناطق الصمت وبياضات النص، كاشفة عن القوانين المستترة خلف الحجاب اللفظي لاستيلاد دلالات بكر. إن «الفهم» في هذا السياق لا يتجلى بوصفه حياة لـ«معنى جاهز» وفق ترابنية خطية، بل هو حدث أنطولوجي (محمد شوقي الزين، 2008، ص: 97)، ينقل الذات من انغلاقها النفسي إلى رحابة الوجود المفتوح على أفق النص.

وبناءً على ذلك، تنزاح الهندسة المنهجية للمنجز عن القوالب التعليمية الرتيبة لتنتفتح على «فضاء النصوية»؛ حيث يتلاشى الفاصل الحدّي بين التنظير والممارسة في صيرورة حوارية تعكس حيوية التفكير النقدي لدى الشرقاوي. وهو تفكيرٌ ينبذ «اليقين المنهجي» المتكلس لصالح «توتر معرفي» مستمر، ووعيٍ حاد بـ «مبدأ الصيرورة» الذي يلاحق المنهج والواقع في آنٍ واحد. (أبو يزيد الشرقاوي، 2016، ص: 06)

وفي هذا الإطار، تغادر قصيدة «الغبار» للشاعر عبد المنعم رمضان حيز «النموذج التطبيقي» العابر، لتستحيل إلى «مختبر تنظيري» مجهري؛ يختبر من خلاله الناقد «الكفاية الإجرائية» لجهازه المفاهيمي في تفكيك طبقات النص وإعادة إنتاج دلالاته. وقد شيد الشرقاوي هذا المختبر وفق هندسة ثنائية الفصول:

• **الفصل الأول (آليات الفهم):** يعالج "الفهم" كمدخل لتفكيك المعنى، مستعيداً «أركيولوجيا التحولات» من المحاكاة الأرسطية وصولاً إلى الهرمنيوطيقا الحديثة، ليثبت تحول النص من "غرض محايد" إلى «شبكة دلالية دينامية» عبر مستويات سيميولوجية تشمل العنونة والمعمار النصي. وهو يواجه بذلك إشكالية النقد الحديث الذي كاد يوهّم بأن "عدم الفهم" هو شرط الشعرية. (أبو اليزيد الشرقاوي، 2016، ص: 07)

• **الفصل الثاني (آليات إنتاج الدلالة):** ينتقل فيه الخطاب من "الاستقبال" إلى «الإنتاج»، مؤكداً أن المعنى ليس معطًى ناجزاً، بل هو ثمرة «التفاعل الديالكتيكي» بين النص والمتلقي، وهو ما يتجسد إجرائياً عبر آليات "اغتراب الجمال" و"الموسوعة الدلالية". إن هذا المنجز النقدي يتركز على سؤال إشكالي حاصر الشرقاوي لثلاثة عقود: ما الشعر؟ وما النقد؟ وما العلاقة بينهما؟ ، وهو سؤال يعكس وعياً ميتانقدياً بأن المنهج ليس أداة جاهزة بل هو بحث مستمر عن «معرفة المعرفة». ويتقاطع طرحه مع رؤية "تودوروف" في أن النص رحلة خلوية يجلب فيها القارئ المعنى، مما يجعل من النص حقل اختبار لصلاحية المقولات النقدية. (يوسف نور العوض، 1994، ص: 29)

تخلص هذه الهندسة إلى أن الشرقاوي لا يقدم نسقاً منهجياً مغلقاً، بل يشيد «باراديم نقدياً مفتوحاً» يستوعب منجزات السيميائيات ونظريات التلقي، محولاً النقد من "لغة واصفة" تقليدية إلى «إبداع ثانٍ» يمتلك كفايته التفسيرية والتبليغية في مواجهة أسئلة الحداثة النقدية.

3. إبستمولوجيا المحمولات: المرتكزات المفاهيمية في الخطاب النقدي للشرقاوي

تنهض الرؤية النقدية عند الشرقاوي على مراجعة إستيمولوجية جذورية للمفاهيم التقليدية التي سادت المناهج النقدية التقليدية؛ حيث يعمل على تفكيك الوعي القرائي الذي استقر قديماً عند ثنائية اختزالية تحصر التعامل مع النص في مسارين: «الظاهر» القائم على حمل النص على معناه البين، و«التأويل» بوصفه صرفاً للفظ عن ظاهره وفق اصطلاح المتأخرين، لقد كان هذا البراديجم التقليدي يفترض سكونية الآليات، ويتوهم إمكانية فصل الفعل القرائي عن «القبلات المعرفية» والآفاق الهرمنيوطيقية للذات القارئة. (بحي محمد ، 2010. ص ص: 32، 33)

بالمقابل، يؤسس الشرقاوي لقطيعة معرفية حاسمة، مؤكداً أن النص يمتلك «ظهوراً أنطولوجياً» يتجاوز كيانه اللفظي المباشر، وهو ظهور يستدعي وحدة إستيمولوجية عضوية تصهر استراتيجيات الفهم وآليات التوليد الدلالي في نسق خطابي متكامل، ينتظم عبر مستويين إجرائيين:

أولاً: آليات الفهم (من الإجراء الكشفي إلى استنطاق المسكوت عنه)

يتجسد هذا النزوع في تحويل «الفهم» من مجرد استقبال سلبي إلى صيرورة إجرائية ترفض السكون، وتفتح «بياضات النص» ومناطق الصمت فيه لاستخلاص القوانين الثابتة. وفي هذا الإطار، يجترح الشرقاوي ما يمكن تسميته بـ «أركيولوجيا العتبات»؛ إذ يمنح العنوان وبنية الشكل أولوية سيميائية تتجاوز سلطة «القصدية» التقليدية، تحقيقاً لـ «كفاية إجرائية» في استبطان «معنى المعنى». إن التنظير لدى الشرقاوي يمثل حواراً ميثاقياً يفكك بنية «النص الثاني» (النقد) ويعيد بناءها وفق براديجم قرائي متجدد؛ حيث تبدى جدلية (الفهم ↔ الدلالة) كعلاقة إنتاجية تتفاعل مع «أفق انتظار» القارئ الحاذق، الذي يضطلع بمهمة ملء الفجوات البانية وتحقيق الكينونة الأنطولوجية للنص عبر فعل القراءة المنتج. وتكتمل ملامح هذه الأطروحة عبر المبادئ المعرفية الآتية:

- **استقلالية الفضاء النصي:** تجاوز «المحاكاة» لصالح النص بوصفه فضاءً تخيلياً مستقلاً، يصبح فيه تهشيم المعنى المباشر شرطاً جوهرياً لتحقيق «الأدبية».

- **مركزية العنوان:** إرساء مكانة العنوان بوصفه مفتاحاً إجرائياً وبنية كبرى تتخلق منها الخرائط الدلالية العميقة.

- **استراتيجية القراءة الارتجاعية:** الانتقال من المسح الخطي الأفقي إلى القراءة التأويلية الارتجاعية التي تخترق سطح العلامات

لتفكيك الشفرات الكلية للخطاب.

• **شراكة التلقي:** تحويل فعل التلقي من الاستهلاك إلى «الأداء»؛ حيث تُنتج الدلالة عبر الانخراط النشط في ملء البياضات النصية المتعمدة.

• **الإعلامية والانزياح:** ترسيخ مفهوم «الإعلامية»؛ إذ إن حجب المعلومة المباشرة عبر «الإغراب» يضاعف طاقة النص وقدرته على كسر أفق توقع القارئ.

• **آليات التماسك العضوي:** اجترح أدوات لربط المتشظي، مثل تقنية «المونتاج الذهني» لجمع الصور المتباعدة، و«التكرار» بوصفه صمام أمان دلالي يمنع تحلل المعنى.

ثانياً: مitanقد آليات الإنتاج الدلالي (من أفق التلقي إلى فضاء النصوصية)

أفضى اشتغال الناقد على إبستمولوجيا الفهم إلى تشييد رهان ميتانقدي جوهري، يروم العبور نحو استبطان «آليات الإنتاج الدلالي». فالمعنى في النص الشعري الحدائي — وقصيدة «الغبار» أنموذج مجهرى دال على ذلك — لا يتأسس بوصفه رسالة إخبارية ناجزة أو تقريراً مرجعياً، بل يتبدى باعتباره حدثاً هرمنيوطيقياً مستمراً.

إن هذا المنظور «الميتانقدي» يعيد تعريف النص بوصفه «كوناً سيميائياً» قابلاً للتأويل المستمر، مما يحول النقد إلى «إبداع ثانٍ» يمتلك سيادته المعرفية الكاملة. وفيه ينتقل الناقد من رصد «الملزومات» اللفظية المباشرة إلى استبطان «اللوازم الدلالية» العميقة، مكرساً النقد كفعل توليدي يعيد بناء الوعي بالنص وبالذات في آن واحد.

وتتبلور هذه الرؤية الميتانقدية في خمس مرتكزات تأسيسية تعيد صياغة شروط القراءة المنتجة:

• **استراتيجية تغييب الدلالة الإشارية:** ينزع النص الحدائي نحو إقصاء المعاني المباشرة المرتبطة بالمرجع الخارجي، بغية الرفع من درجة "الإعلامية"؛ حيث تغدو قوة الصدمة وخرق المألوف المحرك الأساس لفاعلية الوظيفة الشعرية على حساب الوظيفة الإخبارية التقريرية الساذجة.

• **المتلقي بوصفه منتجاً (مسرحة الشعر):** انطلاقاً من مفهوم "فضاء النصوصية"، يتحول المعنى من مجرد إمكان ذهني ساكن إلى فعل متحقق في لحظة القراءة. فالقارئ يضطلع هنا بمهمة استنطاق الدوال المتعاندة، محققاً الكينونة الأنطولوجية للنص عبر ممارسة "القراءة التأويلية الارتجاعية" التي تخترق كثافة السطح العلامى.

• **جماليات المونتاج والتركيب:** يعتمد النص في تشييد معماره الجمالي على تقنيات الرصف وتجاور الصور المتباعدة، مستعيراً آلية "المونتاج" السينمائي لتجميع الشظايا النصية. ويفرض هذا على الناقد كشف القوانين الفاعلة في صون التماسك الداخلي، وتخليق جغرافيا شعرية تتسم بالتوتر الخلاق والقطيعة مع المنطق الخطي.

• **الانزياح وكسر أفق التوقعات:** تتخلق الدلالة عبر ممارسة الإغراب والانزياحات الحادة التي تقطع الطريق أمام الفهم التبسيطي، مما يشرع النص على أبعاد دلالية غير مألوفة، تنهض بكفاية تفسيرية عالية تتجاوز المعطى القاموسي إلى رحاب "معنى المعنى".

• **التكرار كناظم بنيوي:** يبرز التكرار، بمستوييه المعجمي والبناي، كآلية دفاعية وصمام أمان يحمي النص من التحلل الدلالي؛ فهو ملمح أسلوبى يعزز مبدأ التقارن، ويشيد الروابط الخفية التي تضمن الوحدة العضوية للعمل المبدع رغم مظاهر التشظي الظاهري.

4. آليات الفهم والدلالة : الخلفيات المنهجية والمعرفية

تتأسس المقاربة النقدية في مشروع أبي اليزيد الشرقاوي على شبكة إبستمولوجية مركبة تعيد ترسيم «المتخيل التفاعلي» بين أقطاب العملية الإبداعية (النص، والناقد، والمتلقي)؛ حيث يكرس مفهوم «نقد النقد» بوصفه «معرفة المعرفة» أوهو النشاط الذي يسائل شروط إنتاج الخطاب وكفائته الإجرائية. وتتوزع مرجعياته المنهجية عبر مسارين متكاملين: مسار «المعلن» الذي تمثله العتبات النظرية والمفاهيمية في مقدمة مؤلفه (أبو اليزيد الشرقاوي ، 2016. ص:10)، ومسار «المستنتج» الذي ينبثق من الممارسة التحليلية واستنطاق القوانين الكامنة في بنية النص.

وتنتظم هذه المرجعيات ضمن ثلاثة أقطاب إبستمولوجية تضمن التماسك النظري لخطابه:

✓ **مرجعية نقد النقد:** وتتجلى بوصفها «لغة واصفة» تتجاوز التوصيف المباشر لتسائل «النص الثاني»، وتفحص فرضياته التفسيرية وبنيته المنطقية؛ مما ينقل الممارسة النقدية من رتبة الاستهلاك إلى أفق «الإبداع الثاني».

✓ **المرجعية السيميائية:** وتتعامل مع النص بوصفه فضاءً من «العلامات والإشارات» المفتوحة التي تتجاوز النزعة السكونية، حيث يُنظر للوحدات الدلالية كأنساق حركية تكتسب قيمتها عبر التفاعل البيئي والتقارن السياقي والتخالف.

✓ **المرجعية الهرمنيوطيقية (التأويلية):** وتنهض على تفعيل «الدائرة التأويلية» التي تصهر فهم الجزء في وعي الكلية النصية، محولةً فعل القراءة إلى «حدث هرمنيوطيقي» يستنطق مساحات الصمت بحثاً عن «المقصد المتواري خلف المعنى»، تحقيقاً لـ «الكفاية التفسيرية».

تتبدى الأهمية المركزية لهذا التوليف في قدرة الشرقاوي على إحداث «قطيعة معرفية» مع أطروحات القصيدة السكونية وجمود المحاكاة المباشرة؛ حيث ينحاز الخطاب نحو رؤية ديناميكية تنظر إلى البنية بوصفها «نسقاً حركياً تفاعلياً» يستمد قيمته من شبكة العلاقات التي تمنح النص كينونته المتجددة. إن جوهر هذا التحول يكمن في إدراك أن العمل الأدبي يمثل شكلاً من أشكال «التواصل الثقافي»، مما يفرض استحضار «خطاطة تواصلية أولية» تتشكل من: المؤلف (الفعلي أو الضمني)، والرسالة (النص)، والمتلقي الذي يضطلع بمهمة «إعادة إنتاج النص». وفي هذا السياق، يقدم الشرقاوي أطروحة «ميتا نقدية» تؤكد ضرورة تلازم عنصرين «التوليفة النقدية» التي تضمن التعددية المنهجية الصالحة، و«الخطاطة الأولية» التي تعمل كخارطة طريق لتتبع مسارات المشهد النقدي وضبط آليات اشتغال المفاهيم. وبناءً على ذلك، تبرز ملامح «المرتكزات السوسيرية (Ferdinand de Saussure)» بوضوح؛ حيث يتم التعامل مع بنية النص بوصفها شبيهة بـ «اللسان»؛ أي نسقاً من العلامات التي تعبر عن المعاني وتكتسب قيمتها من نظام التخالف داخل الشبكة الكلية. (فردنانديسوسير، 1987، ص: 25)، ومما يعمق هذا التمثيل المنهجي، استثمار المكونات اللغوية وغير اللغوية لاستخلاص «التصورات الذهنية» وإعادة بناء النص كبنية معرفية شاملة. وهنا تبرز استعادة أطروحة «تريفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov)» كمنطلق جوهري؛ يحقق الوجود الفعلي للنص عبر فعل القراءة. (يوسف نور العوض، 1994، ص: 29). ختاماً، يستبطن الناقد آليات الإنتاج الدلالي عبر «باراديم تواصلية» يعيد الاعتبار لمركزية «القارئ الحاذق» بوصفه شريكاً بانياً ومساهماً فاعلاً في صيرورة الخطاب ويتوشح هذا المنزع بـ فلسفة تأويلية» تقتحم مناطق الصمت وتستنطق المسكوت عنه مستمدةً كفايتها التفسيرية من «المقاربة البيرسية» (Charles Sanders Peirce) في تشریح ثلاثيات العلامة وتصنيفاتها الإجرائية. (وحيد بن يوعزيز، 2008، ص: 33)، كما يفلح الشرقاوي في تطعيم هذه السيميائية برؤى «نظرية التلقي»، مكرساً مبدأ «إعادة الإنتاج» المستمر الذي يضطلع بمهمة ملء «بياضات النص البانية» وفراغاته الدلالية؛ مما يمنح العمل كماله المعرفي ووجوده الأنطولوجي في لحظة القراءة. وبهذا التوليف المنهجي، استطاع الناقد تجاوز الحصار اللساني الضيق الذي ضربه رومان جاكوبسون (Roman Jakobson) حول مفهوم «الأدبية» بوصفها الموضوع الأوحـد والمغلق لعلم الأدب. (عبد الرحمن تمارة، 2017، ص: 144)

لقد ارتقى الشرقاوي بالممارسة النقدية نحو «فهم شمولي» ومنهج، يحوّل النقد من مجرد لغة ثانية شارحة إلى «إبداع ثانٍ» يمتلك سيادته المعرفية المستقلة في فضاء «اللغة الواصفة» أو ما يُعرف بـ «نقد النقد». وبذلك، يغدو الخطاب النقدي عنده قوة توليدية قادرة على استكشاف طاقات النص ضمن آفاق إنسانية وكونية أرحب، محققاً القطيعة المنشودة مع القراءات السكونية والتقليدية. السابقة الذكر.

5. آليات الفهم والدلالة : المتن المدرس

تقتضي الصرامة الميتانقدية في مشروع "الشرقاوي" تحديداً دقيقاً لـ «المتن المدرس»؛ وذلك لتجاوز عوارض الالتباس التي قد يوحى بها العنوان العريض للمدونة، وتوجيه مسارات البحث في قنوات إجرائية منضبطة. ومن هذا المنطلق، يتحدد المتن المركزي بوعي نقدي نافذ في قصيدة "الغبار" للشاعر "عبد المنعم رمضان"؛ حيث يتم التعامل معها لا بوصفها مجرد "نموذج تطبيقي" عابر، بل باعتبارها «مختبراً نظرياً» يُراد من خلاله اختبار طاقة المفاهيم وقدرتها على استنطاق الطبقات العميقة للنص الشعري الحدائي.

إن حصر المتن في قصيدة واحدة قد يبدو في الظاهر غير كافٍ لتأسيس مراجعة باراديمية شاملة، إلا أن جدواه الإستيمولوجية تكمن في «تركيز الممارسة النقدية» وتعميق مستويات الفحص والمعاينة. فالشرقاوي يسعى عبر هذا الاختيار إلى «تطويع المفاهيم» النقدية الغربية والوافدة واختبار «قوتها الإجرائية» في بيئة نصية عربية مخصوصة؛ مما يسمح بالانتقال من حيز الوصف السطحي إلى رحاب «إعادة إنتاج النص» واستبطان القوانين الثابتة في تشكيل معماره الجمالي.

بيد أن متتبع مسار التحليل يلحظ حضور «متن ثانوي/ هامشي» (مثل النص النقدي لسيد البحراوي (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 26) وعزالدين إسماعيل (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 103) وسعيد يقطين (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 105) وغيرهم) يتم استدعاؤه في سياقات حوارية دقيقة. إن هذا المتن الثانوي لا يمثل فائضاً خطائياً، بل ينهض بوصفه «أداة تدعيمية» للمواقف المعرفية للناقد، ووسيلة لتحقيق «الموازنة النقدية» بين الرؤى المتعددة.

بناءً على ذلك، يشغل المتن المركزي والمتن الهامشي في حركة دياكتيكية متناغمة؛ إذ يدعم الهامش دراسة المركز، ويفتح في الآن ذاته مساراً تؤدي إلى توليد «نص ثالث» (نص نقد النقد). هذا النص الأخير هو الذي يمتلك سيادته التفسيرية وقدرته على إعادة تشكيل الوعي بالممارسة النقدية في صيرورتها التاريخية والمعرفية، محولاً النقد من مجرد قراءة واصفة إلى كشف إستيمولوجي متكامل.

6. آليات الفهم والدلالة: مبادئ الفعل النقدي

يتجه هذا المحور الصارم صوب المساءلة الإستيمولوجية لجوهر الممارسة النقدية في مشروع أبي اليزيد الشرقاوي، مسائلاً الكيفية التي استطاع من خلالها الناقد تشييد وصف نظري وتطبيقي لقصيدة «الغبار»، بوصفها مختبراً نظرياً لا مجرد متن شعري عابر. إن انبناء المنجز النقدي في كتاب «آليات الفهم والتأويل في المدونة النقدية الحديثة» على خطاب مكثف، قد سمح ب بروز عناصر الفعل النقدي وتحليلها كـ «لغة واصفة» تسعى لتفكيك الطرائق الإجرائية والقواعد المنهجية التي يستبطنها الناقد.

وبناءً عليه، تخضع الممارسة النقدية عند الشرقاوي لثلاثة مبادئ إبستمولوجية كبرى تضمن تماسك خطابه الميتانقدي:

مبدأ التحديد المفاهيمي: يُعد «مبدأ التحديد المفاهيمي» الركيزة الإبستمولوجية المحورية في مشروع أبي اليزيد الشرقاوي؛ فمن خلاله يُسائل الناقد شروط إنتاج المعرفة النقدية ويضمن لها كفايتها الإجرائية. وتتجاوز الرؤية عند الشرقاوي حدود التوصيف السطحي للمفاهيم، لتتحوّل باتجاه صياغة لغة واصفة تمتلك قدرات تفسيرية وتوجيهية؛ وهو ما يُحوّل الفعل النقدي من مجرد قراءة تابعة إلى «إبداع ثانٍ» يُعيد بناء شروط تشكّل المعنى داخل النص.

ويتجلى هذا التأسيس المنهجي بوضوح في مقاربة «فلسفة العنوان» (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 16)؛ حيث ينزاح العنوان في هذا الطرح عن وظيفته التعيينية التقليدية ليصبح «بنية كبرى»، ومفتاحاً تأويلياً رئيساً يمنح الذات القارئة سلطة تفكيك شفرات النص وتوجيه مسارات الفهم. وبالتوازي مع ذلك، يبرز مفهوم «بنية الشكل» بوصفه «هندسة مقصودة» تتجاوز الغايات التواصلية المباشرة؛ فالبناء الشكلي هنا لا ينقل معانٍ جاهزة، بل يطمح لتشديد عالم نصي مستقل يقوم على حركية العلامة وكثافة الرمز.

كما يستثمر الشرقاوي ضمن لغته الواصفة مفهوم «الإغراب» كآلية لرفع درجة «الإعلامية» وكسر أفق التوقعات (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 147)، ومفهوم «التكافؤ» (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 90) الناظم للعلاقات الاستبدالية والتركيبية، بالإضافة إلى تقنية «المونتاژ» الذهني في بناء الصور، ومبدأ «التصدر» كأداة لتركيز الانتباه الدلالي.

وعليه، يُحدث الشرقاوي قطيعة إبستمولوجية حاسمة مع التصورات الكلاسيكية التي حصرت النص في دائرة «المحاكاة» أو الانعكاس المرآوي للواقع. وبدلاً من ذلك، يؤسس لرؤية تنظر إلى النص ككيان أنطولوجي مكتفٍ بذاته، يمتلك فضاءه الزمكاني الخاص. إن هذا المعمار الجمالي يقوم على فرضية أن النص الحداثي هو «نسق حركي تفاعلي» محكوم بقوانين داخلية، مما يستوجب استحضار «القارئ الحاذق» كطرف شريك في استنطاق المسكوت عنه وملء الفراغات البنيوية.

وفي المحصلة، يرتكز المشروع على ضرورة تشييد «جهاز مصطلحي دقيق» يضع حداً لعشوائية التلقي ويضمن الاتساق المنطقي للفرضيات النقدية. فالشرقاوي لا يكتفي باستيراد المفاهيم، بل يعتمد على إعادة إنتاجها ضمن سياق «الكفاية الإجرائية»؛ لتصبح قادرة على سبر أغوار النص الشعري الحداثي وتحقيق سيادته المعرفية في فضاء «النصوصية».

مبدأ التنظير المنهجي: ينتظم «مبدأ التنظير المنهجي» في الممارسة النقدية لدى الشرقاوي بوصفه براديجماً إرشادياً يمدّ القارئ بـ «كفاية إجرائية» نوعية، تتيح له اختراق الطبقات الجيولوجية للنص المعاصر. إذ يؤسس الناقد خطابه على تصور منهجي دقيق، يهدف

إلى الانتقال بالعملية النقدية من التوصيف السطحي العابر إلى التحليل النسقي الشامل؛ حيث يتشكل هذا الأفق النظري عبر ثلاث مسارات إبستمولوجية متكاملة:

أولاً: المسار الجينيالوجي (أركيولوجيا العنوان): يسعى الشرقاوي من خلال هذا المسار إلى تتبع المفاهيم التاريخية والجمالية للعنوان، ومساءلة حضوره في المتخيل النقدي (العربي والغربي على حد سواء) (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 16-19). وبموجب هذا الطرح، يتحول العنوان في القصيدة الحديثة من مجرد "وسم تعييني" أو عتبة خارجية، إلى «نص موازٍ» مكثف، و «بنية كبرى» سيادية تدير العملية التأويلية برمتها. وبذلك، يغدو العنوان نواة توليدية تتجاوز الحدود القاموسية الضيقة، لتلتحم بآفاق «القاموس الصوفي والوجودي» في وحدة عضوية متماسكة.

ثانياً: المسار السجالي (دينامية الحوار الميثانقدي): يتجاوز الخطاب النقدي هنا رصد الظواهر ليدخل في «حوارية نقدية» فاعلة مع الأطروحات التقليدية التي تركز جمود المفهوم. ويمارس الشرقاوي سجلاً معرفياً رصيناً مع مقترحات أقطاب الشعرية والسرديات العالمية — أمثال ميكائيل ريفاتير (*Michael Riffaterre*) وجيرار جينيت (*Gérard Genette*) بغية تحرير النص الشعري من "قهر المفاهيم الجاهزة" وتفجير طاقاته الإبداعية الكامنة، بعيداً عن القوالب النظرية المصمتة. (أبو اليزيد الشرقاوي، ص: 20-38)

ثالثاً: المسار الإبستيمي (الرؤية التركيبية الشمولية): يتحكم في هذا المسار وعي نقدي ينظر إلى النص المعاصر بوصفه «حدثاً هرمنيوطيقياً» معقداً. ومن خلال فتح مسافات التوتر بين «التجربة الصوفية والفلسفة الوجودية»، يشيد الشرقاوي خريطة نصية واعية تعطل وظيفة الإخبار المباشر لصالح تعزيز درجة «الإعلامية» وبذلك، يستعيد النص كينونته كعالم فني مستقل يسبح في فضاء الاستعارة والمجاز، محققاً سيادته الجمالية دون ارتكان للمرجعيات الخارجية الساكنة.

إن هذا النسق النظري يحول الممارسة النقدية عند الشرقاوي من مجرد "لغة واصفة" شارحة، إلى «إبداع ثانٍ» يمتلك سلطته المعرفية المستقلة في إعادة تشكيل الوعي بالنص وبالذات القارئة في آن واحد، محققاً بذلك وحدة إبستمولوجية بين النظرية والتطبيق.

مبدأ التحليل النسقي : ينبنى «مبدأ التحليل النسقي» في المختبر النقدي للشرقاوي على مقارنة قصيدة «الغبار» بوصفها «نسقاً حركياً تفاعلياً» يقطع بصرامة مع النزعات السكونية ومنطق المحاكاة المباشرة؛ حيث يسعى الناقد إلى استنطاق «القوانين الفاعلة» التي تمنح المعمار الجمالي كينونته المتجددة وصيرورته الوجودية المستمرة. إن هذا الاشتغال النسقي يستدعي إدارة إبستمولوجية محكمة لآليات

«الدائرة الهرمنيوطيقية»، تقتضي الانتقال الجذري من نمط "القراءة الخطية" المستهلكة إلى رحاب «القراءة التأويلية الارتجاعية»؛ وهي القراءة المنوط بها استغوار «بياضات النص» البانية، وتفكيك شفرات «الدوال المتعاندة» المتخفية خلف حجاب التشكيل اللغوي. (أبو اليزيد الشرقاوي، ص ص: 125-176)

وعلى هذا النحو، وجه الناقد بؤرة تحليله نحو استقصاء مختلف «أنماط الفجوة» التي تقتفي أثر التموجات الدلالية والتركيبية، لاسيما تلك المنبثقة من فيوضات «الصورة الشعرية»؛ إذ تتحول الفجوة هنا من فراغ دلالي إلى وسيلة منهجية لاستخلاص المكونات التصويرية، وإعادة بناء النص بوصفه بنية معرفية شاملة ومتماسكة.

ويعضد الشرقاوي هذا المبدأ بمرتكزات ميتا نقدية تضمن كفاية الفعل النقدي، تتجلى بوضوح في تبني «التفسير الإعلامي» وتفعيل آليات الإنتاج في قصيدة «الغبار». وهي استراتيجيات تروم في جوهرها «إعادة رسم الخريطة الدلالية» للقصيدة عبر رفع درجة «الإعلامية»؛ وذلك من خلال كسر أفق التوقعات، وتفعيل الوظيفة الشعرية التي تتخلق في لحظات التوتر والتصادم البنيوي بين الصور. وفي الختام، يستحيل التحليل النسقي عند الشرقاوي إلى «إبداع ثانٍ» يعيد إنتاج المعنى ضمن آفاق إنسانية وكونية أرحب، محققاً بذلك السيادة المعرفية لـ «اللغة الواصفة» وقدرتها على سبر أغوار النص الشعري الحديث.

7. خاتمة

يُمثل مُنجز الشرقاوي، الموسوم بـ «آليات الفهم والتأويل في المدونة النقدية الحديثة»، علامة معرفية فارقة في ممارسة نقد النقد الأكاديمية الرصينة؛ إذ ينهض بوصفه استجابة إبستمولوجية واعية للتحويلات الكبرى التي شهدتها المشهد النقدي المعاصر، مستفيداً من زخم المراجعات التي طالت مفاهيم القراءة والتحليل في أفق المشاريع البنيوية وما بعد البنيوية. ويمكن تكثيف النتائج الجوهرية التي تكشف عن مدى نجاح الشرقاوي في المحاور التحليلية التالية:

• **الصرامة المنهجية وفاعلية المختبر النظري:** حافظ الشرقاوي على صرامة طموحه المنهجي، محولاً قصيدة «الغبار» من مجرد نموذج تطبيقي إلى «مختبر نظري» مجهر؛ نجح من خلاله في إعادة رسم الخريطة الدلالية للنص الحداثي بوعي "ميتا نقدي" يفكك آليات تشكّل الخطاب وقوانينه الثاوية.

• **الإثراء المعرفي والندية مع المناهج العالمية:** قدم الكتاب زاداً نقدياً غنياً، محققاً «الكفاية الإجرائية» والقدرة على محاوره المناهج

العالمية من موقع الندية المعرفية. ويتجلى نجاح الشرقاوي في ترسيخ المقولات المركزية الآتية:

- ✓ **هندسة الفهم القاصد:** القصيدة الحداثية بناء معقد ومقصود يفرض على القارئ التخلي عن "الاستهلاك السلبي" للمعنى، والانخراط في تأويل نشط يفكك الرموز.
- ✓ **إستراتيجية الغموض والإعلامية:** الغموض ليس قصوراً، بل هو آلية مقصودة لرفع درجة «الإعلامية» وزيادة طاقة الصدمة، لضمان تحقيق "أدبية النص" بمعزل عن لغة الإخبار اليومي الساذجة.
- ✓ **الضياح المنظم والسيادة الجمالية:** الخريطة الدلالية في الشعر الحداثي تنهض على "ضياح منظم" للمرجع الخارجي، ليكتسب النص كينونته كعالم فني مستقل يسبح في فضاء المجاز.
- ✓ **المتلقي كمنتج (المونتاج الذهني):** القراءة عملية إشكالية تتطلب من المتلقي التحول إلى "مشارك إيجابي" يمارس المونتاج الذهني للصور المبعثرة ملء البياضات النصية البانية.
- ✓ **الفهم بوصفه "لغة واصفة":** أثبت الشرقاوي أن عمليات الاستنباط المستندة إلى آلية الفهم هي "المفتاح الإجرائي" للعبور بالنقد إلى أفق «اللغة الواصفة»؛ تلك اللغة القادرة على استنطاق المسكوت عنه وتشريح البنيات العميقة للخطاب.
- **التحول من "الملزومات" إلى "اللوازم":** تكمن براعة الناقد في كشف القوانين الفاعلة عبر الانتقال من «الملزومات» (الظواهر اللفظية) إلى «اللوازم الدلالية» (الإمكانات المضمره)؛ مما حول النص إلى نسق من العلامات الإنتاجية دائمة التحول.
- إن نجاح الشرقاوي يتمثل في نقل الممارسة النقدية من رتبة "اللغة الثانية" الشارحة إلى مصاف «الإبداع الثاني» الذي يمتلك سيادته المعرفية الكاملة كـ «نص ثالث». ومن خلال هذا البراديم القرائي المتجدد، أكد الشرقاوي أن النص الشعري كونه لا متناهٍ من العلامات التي تفتتح على التعدد التأويلي الخلاق، رافضاً وهم القراءة الوحيدة أو الانغلاق المعرفي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو اليزيد الشرقاوي، ، 2016، آليات الفهم والدلالة في المدونة النقدية الحديث، مصر، دار الهاني للطباعة والنشر.
2. بومدين بوزيد ، ، 2008م، الفهم والنص " دراسة في المنهج التأويلي عند شليرماخر وديلتاي، بيروت ، لبنان ، الدار العربية للعلوم ناشرون.
3. عبد الرحمن تمارة ، 2017، نقد النقد بين التصور المنهجي والانجاز النصي، عمان ، الأردن ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

4. فردناند دي سوسير ، ترجمة: عبد القادر قنيني، 1987، محاضرات في اللسان العام ، الدار البيضاء ، المغرب..، افريقيا

الشرق ،

5. شوقي الزين محمد، 2008، الازاحة والاحتمال " صفائح نقدية في الفلسفة الغربية ، بيروت ، لبنان ، الدار العربية للعلوم

ناشرون .

6. مصطفى جلال مصطفى، 2016، إشكالية التلقي والتأويل في النص المعاصر، النص المسرحي أنموذجا ، العراق، دار

الفنون والآداب للطباعة والنشر.

7. بن بوعزيز وحيد ، 2008، حدود التأويل " قراءة في مشروع أمبرتو إيكوا النقدي، بيروت ، لبنان ، الدار العربية للعلوم

ناشرون.

8. يحي محمد ، 2010، منطق فهم النص، الدار البيضاء، المغرب ، دار افريقيا الشرق.

9. نور عوض يوسف 1994، نظرية النقد الأدبي الحديث ، القاهرة ، مصر، دار الأمين.